

الحوزة وضرورة نهضة علمية جديدة

الموضوع: الحوزة وضرورة نهضة علمية جديدة

المناسبة: بدء العام الدراسي في الحوزات العلمية

الزمان والمكان: 8 جمادي الثانية 1420هـ – ق طهران

الحضور: طلبة البحث الخارج

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.
نبدأ أولاً كما جرت العادة بذكر حديث شريف تبركاً بمعارف أهل البيت (عليهم السلام) إن شاء الله.

جاء في وصية الرسول لأمير المؤمنين (عليهما السلام) أنه قال: "يا علي، إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً بما آتاك الله، ولا تندم أحداً على ما لم يؤتوك الله، فإن الرزق لا يجره حرص حريص، ولا تصرفه كراهة كاره. إن الله بحكمه وفضله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط"¹ والسخط هنا: بمعنى الغضب من جميع الحوادث، فإذا أعطاه الله غضب؛ لأن الله لم يعطه أكثر من ذلك، وإذا أصابهه أدى غضب وسخط للذى أصابه.

إذا أراد المرء بلوغ الروح والفرح عليه أن يبحث عن الرضا واليقين، فإذا كان في هذه الدنيا خير ومنفعة فهو من نصيب الزاهد القانع.

بمناسبة بدء الموسم الدراسي الجديد – لدينا وفي الحوزة العلمية بقم وسائر الحوزات العلمية – رأينا ضرورة الإشارة – قبل الشروع ببحثنا الفقهي – إلى بعض الشؤون المتعلقة بالحوزة وبنا نحن طلبة العلوم الدينية.

دور الحوزة في عالم اليوم

يبدو لنا أنه كلما ازدادت أهمية الدين في الحياة، ازدادت إلى جانب ذلك أهمية الحوزات العلمية.

فالدين يمثل اليوم محور اهتمام عالمي، ويحظى الإسلام العزيز والأحكام الإسلامية المقدسة بأهمية بالغة من قبل الساسة والمفكرين والمتخصصين بالقضايا والعلوم

¹ تحف العقول: ص 6. ورواه البرقي في كتاب الأشكال والقرائن من المحاسن مسنداً باختلاف يسير: ج 1، ص 17.

الاجتماعية والكثير من الجماهير — وخاصة الشباب منهم — في الكثير من بقاع العالم، وفي البلدان الإسلامية على وجه الخصوص.

ومن المؤكّد أنّ القسم الأعظم من الحادثة التي بدأت منذ عقدين من الزمن خلافاً للتوقعات وللتيار السائد في العالم، ترتبط بانتصار الدين في هذا البلد وإقامة نظام إسلامي.

ولهذا فإن الدراسات الجارية على الدين اليوم في كل أنحاء العالم، ليست في معزل عن جانبه السياسي، ولا تنظر إليه مجرداً عن تأثيره السياسي؛ وتتخذ المواقف إزاءه وفقاً لهذا الأساس، مثلاً أن القلوب التي تهفو إلى الدين، وأقصد شباب العالم الإسلامي والأجيال الصاعدة فيه وفي بعض المناطق الأخرى من العالم، لا تقبل عليه مجرداً عن حضوره السياسي والاجتماعي.

نحن نعيش اليوم في مركز هذا الاهتمام العالمي، أو بعبارة أخرى إن الإسلام وخاصة الجمهورية الإسلامية تقع في بؤرة هذا الاهتمام.

ولعلكم تسمعون أو تعلمون بعقد ندوات تخصصية وعلمية عالمية ذات توجهات مختلفة في بقاع متعددة من العالم وخاصة في بعض الدول التي ليست لها مواقف ودية من الإسلام ومن الجمهورية الإسلامية، من أجل دراسة هذه الظاهرة؛ وهذا ما يعكس مدى أهمية هذه القضية.

ونحن اليوم بصفتنا أناس ننتمي إلى الحوزات العلمية، يجب علينا أن نخطّط لفكر وحركة ونهضة جديدة في منهجنا العلمي وفي مباحثنا الإسلامية، في ضوء هذه الظاهرة العالمية؛ فحينما نشاهد العلم الذي انطلقت هذه الحركة السياسية على أساسه؛ أي العلوم الإسلامية والمعارف والكلام والفقه، يحظى اليوم بكل هذا الاهتمام من قبل الأوساط العلمية والسياسية العالمية، يجب علينا بذل المزيد من الاهتمام والدقة، وتقدير عملنا من جديد بصفتنا علماء دين وأصحاب رأي في القضايا الدينية.

فاليوم ليس يوماً نستطيع فيه التحدث باسم الدين بكلام غير رصين، أو أن نرسم لأنفسنا هدفاً يتذرّع علينا استخراجه من المعارف الإسلامية، أو أن نقف مكتوفي الأيدي إزاء ما يدخل ضمن الأهداف الدينية والقضايا الفقهية أو الكلامية المهمة، وليس هناك لزوم يدعونا إلى التشبّث بشيء آخر سوى المهمة العلمية؛ من أجل افتقاء هذا السبيل الجديد.

فلو كانت لدينا دوافع بقدر ما يحمله أي عالم من اندفاع علمي إزاء ما يهتم به علمياً، تجاه المباحث الإسلامية — ناهيك عن الاعتقاد والإيمان والواجب والمسؤولية الدينية — واعتبرنا هذه المهمة العلمية والشعور بالتعلق بما نؤدي له هذا

العمل العلمي ونعتقد به علمياً، فإن ذلك يكفي لما نفهمه من الإسلام ونشره باسم الإسلام، ولأجل الإسلام، وفتح له حساباً جديداً.

لأشك في أنّ مركز هذه التوجهات والدراسات العلمية هو الحوزات العلمية، وهذا لا يعني – طبعاً – أن الآخرين – من غير منتبني الحوزات العلمية – لا يحق لهم التفكير أو البحث في القضايا الإسلامية؛ فالكلام ليس في الحق وعده؛ بل لأن مستلزمات هذه الدراسات لا تتوفر إلا في الحوزات العلمية.

إنّ من حق كل إنسان أن يصبح طبيباً، إلا أنّ من يريد أن يصبح طبيباً عليه أن يدخل كلية الطب، إذ لا ينبغي تحصيل العلم في موضع لا يتوفّر الأستاذ والعلم والمخبر والمعلم المترمّس في هذا المجال.

والموضع المناسب لفهم الدين، والتعمق في المسائل الدينية إلى حد التخصص هو الحوزات العلمية، من الممكن – طبعاً – أن يكون لدى كل شخص معلومات دينية أدنى من حد التخصص، إلا أن التخصص في الدين يستلزم دخول الحوزات العلمية، والدراسة على يد الأساتذة المتخصصين في العلوم الدينية، وأخذ تلك العلوم عنهم.

وفي المقابل يجب أن تكون الحوزات العلمية قادرة على تلبية هذه الحاجة.

فأهمية الحوزات العلمية اليوم لا تتحصّر في القدرة على تبليغ الدين – فهذا طبعاً واحد من واجباتها الأساسية والمهمة – إلا أن الواجب الآخر الذي يفوق أهمية التبليغ، أو يوازيه في الأهمية على أقل تقدير، هو التعليم والتدريس الفني والعلمي للمبني والمعارف الدينية، بما في ذلك الفقه أو الكلام أو الفلسفة، أو بقية العلوم التي يحتاجها بالدرجة الثانية.

وهذا يعني تزايد أهمية الحوزات العلمية وعلماء الدين ومدرسي العلوم الدينية، والعمل الذي يمارسه طالب العلوم الدينية.

المباحث الأساسية في الحوزات العلمية

أما ما هي المباحث التي يجب أن تتخذ كأساس في الحوزات العلمية في هذا المجال، فهذا أمر تحدثنا عنه مرات عديدة، ونتحدث عنه هنا مرة أخرى أيضاً؛ فالفروع الأساسية في الحوزات العلمية هي على الترتيب الآتي: أولاً الفقه، ثانياً الكلام، ثالثاً الفلسفة.

فالفقه هو العمود الفقري للحووزات العلمية، وعلم الكلام من الأركان الأساسية لها، والفلسفة جزء من مستلزماتها المؤكدة، فيجب على المدرسين الصالحين الكفوئين،

والطلبة المجدّين المثابرين دراسة هذه العلوم الثلاثة، ويجب على الحوزات العلمية التحرّك في هذا المجال بجدّ ونشاط وحيوية.

وفي الوقت ذاته ينبغي عدم الاكتفاء بهذه الحقول فحسب؛ فهذه هي العلوم الأساسية، ولكن توجد إلى جانبها علوم أخرى يجب الإلمام بها، من قبيل التفسير، وعلم الأصول الذي يجب دراسته إلى جانب الفقه كمقدمة واجبة له، فضلاً عن علم الحديث والرجال وكل ما يتعلق بمقولات فهم الكتاب والسنة.

هذا إضافة إلى فنون تبليغ الدين؛ قضية تبليغ الدين في الوقت الحاضر أصبحت قضية علمية، وعلوم الاتصالات التي تبذل لها إمكانيات هائلة في جامعات العالم تعنى في الحقيقة بأساليب الارتباط في التبليغ.

ونحن لدينا أساليبنا في الارتباط بمخاطبينا، وهي بطبيعتها أساليب جيدة، إلا أنها على كل الأحوال غير كافية.

ولا أريد هنا الإياع إلى الطلبة بدراسة علوم الاتصالات، ولكنني أريد التأكيد على المدراء وواعضي المناهج في الحوزات العلمية بالتخطيط لعملهم في ضوء معطيات هذه العلوم، ووضع القدر اللازم من هذه العلوم تحت تصرف من يحتاجون إليه، وبدرجات مختلفة حسب ما تتطلبه حاجة الحوزات العلمية، وخاصة لمن يعملون في حقل التخطيط والبرمجة لشؤون التبليغ.

ولا شك في أن الإطلاع على التيارات الفكرية السائدة في العالم ضروري للحوظات العلمية، وإلا فلن تكون واثقين من صحة القرارات والممارسات التي تنتخذها في مجال التبليغ؛ فإذا لم نحدّد مخاطبينا ونكون على معرفة بهم وبالتالي التيارات الفكرية المحيطة بهم، فقد نتحدى إليهم بأمور لا وجود لها في أذهانهم، ولا هي موضع اهتمامهم، ولا تدور في عقولهم أية تساؤلات عنها؛ أي أن العمل الذي أجزناه كان عبثاً.
إذاً تجب معرفة المخاطب وتحديد طبيعته.

ما أكثر الأشخاص القادرين على إقامة جسور الترابط مع مخاطبين، وما أكثر الأشخاص الآخرين القادرين على إقامة جسور الترابط مع مخاطبين غيرهم؛ فالمخاطب يجب تحديده بدقة.

ويجب على الأجهزة الإدارية في الحوزات العلمية أن يكون لديها نشاط وفعالية وتخطيط في هذا المجال.

يجب معرفة المخاطبين، والأسئلة التي تختلف في أذهانهم، والتيارات الفكرية السائدة عليهم.

فهناك في عالم اليوم شبّهات ومباحث وآراء جديدة مطروحة على بساط البحث، يستند بعضها إلى أساس علمية أو شبه علمية، فالشخص الذي يضطلع بمهمة تبليغ الدين، وتبيين رؤاه، أو بتعبير آخر الدفاع عنه، يجب أن يكون على علم بالتغيرات الفكرية، وبالآراء الجديدة المطروحة في عالم اليوم. وهذه المعرفة واجبة بالنسبة لحوزاتنا العلمية.

وعلى الطلبة أن يتعلّموا أيضًا لغات العالم الحية.

ومعْرفة لغة واحدة على الأقل من اللغات الحية الموجودة في العالم تعتبر من جملة المستلزمات والأدوات الالزمة لعمل طلبة العلوم الدينية، وهذا ما ينبغي إشاعته في الحوزات العلمية، ومن حسن الحظ فإن الطلبة غالباً ما يكونون من الشباب ويتمتعون بمقدرة عالية على تعلم اللغات.

ومن المباحث المهمة الأخرى أيضًا هو بحث المعنوية والقدسية؛ فالفارق الأساسي الذي يميّزنا عن بقية أصحاب الإدعاءات في العالم يمكن في وجود هذا الهدف المقدس؛ فنحن نريد السعي في سبيل الله، ولأجل دين الله، ولنيل رضا الله، وإعلاء كلمة الله.

ويجب أن يكون هذا هو هدفنا منذ أن نشرع بالدراسة إلى حين قيامنا بعملية التبليغ أو التدريس، أو التصدّي لمسؤولية ما في الحوزة أو خارجها، وعند ممارستنا لأي نشاط سياسي أو اجتماعي أو علمي؛ وهذا هو ما يفضي بنا إلى النجاح، يجعل لكلامنا تأثيراً وجاذبية؛ ولهذا يجب اعتباره فرضاً محتملاً علينا.

في الوقت الذي أتحدّث معكم فيه حول هذه الموضوعات، لاشكَ أنَّ هناك أعمالاً كبيرة قد أنجزت في هذه المجالات في الحوزات العلمية، وخاصة في حوزة قم المباركة. وقد أصبح البون ملحوظاً اليوم عمّا كان عليه قبل عدّة سنوات؛ فقد أصبحت هناك اليوم دروس في الأخلاق ودورس جيدة في التفسير وفي الفلسفة، وهناك التبليغ والكلام، وهناك المجالات العلمية المتخصصة؛ وهذا هو ما كنا نوصي به ونتمناه؛ أخذ يتحقق تدريجياً، وهذا يمثل دليلاً على أن ما كنا نطرحه كأمانٍ لم يكن مجرد أمني فجة بعيدة المنال، وإنَّ كل هذه الأمور قابلة للتحقيق؛ بهمة أصحاب الهمم، وبقليل من الإمكانيات والطاقات، كما حصل في الحوزة العلمية بقم بالدرجة الأولى، وفي بعض الحوزات العلمية الأخرى.

وكل الأعمال الكبرى التي نرى وجوهاً للحوزات قابلة للتطبيق العلمي، ولكن بشروط، أن نعقد لها أنا وإياكم العزائم والهمم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته